Issue 6049 Monday 28/5/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6049 الاثنين 12 من رمضان 1439 هـ 28 من ايار (مايو) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21 . UK

### الجد غادر كريت اليونانية مع إنهيار الإمبراطورية العثمانية

# سوري يعود إلى الوطن الأم بعد 130 عاماً

**لندن- جيسيكا باتمان**

دخل أحمد (42 عاماً ) إلى متجر صغير في خانيا، على الساحل الشمالي الغربي لجزيرة كريت اليونانية، بدأ بالتعريف عن نفسه، نظر إليه صاحب المتجر، بعينين جاحظتين فاتحاً ثغره باندهاش، لقد فهم ما يقوله أحمد، لكن بدت بعض الكلمات غير مألوفة له ومن الطراز القديم جداً. وكأن أحمد جاء من عصر آخر.

قال أحمد: " لم يصدق الرجل أن شخصاً ما باستطاعته التحدث بهذه اللهجة القديمة في هذا العصر".

تعلم أحمد اللهجة الكريتية من والديه اللذين عاشا طوال حياتهما مع أبنائهما في سوريا. لكن بعض أفراد عائلته ولدوا وعاشوا في كريت اليونانية".

يقول أحمد: " لقد ولدنا وكبرنا في سوريا وتعلمنا اللغة العربية في المدارس، لكننا كعائلة، كنا دائماً نتحدث اللغة اليونانية باللهجة الكريتية في المنزل مما جعل الثقافة الكريتية حية بيننا ". فقد تعلم أطفالنا الرقصات اليونانية وحفظوا بعض الأشعار الكريتية القصيرة التي تعرف باسم "مانتياديس"، كما أن آباءنا خلّفوا وراءهم الكثير من العادات اليونانية من رقصات ووصفات للأطعمة التقليدية، مثل طبق القواقع المقلية والتزاوج فيما بينهم من داخل العائلات الكريتية الموجودة في سوريا، وقليلاً ما يتزوج الكريتيون من السوريين، فزوجته ياسمين أيضاً كريتية الأصل.

**مغادرة كريت**

أُجبر جدُّ أحمد على مغادرة كريت عام 1890 مع بدء انهيار الإمبراطورية العثمانية، حيث كانت جزيرة كريت جزءاً منها على مدار قرنين من الزمن، وكان ربع السكان تقريبًا بمن فيهم أسلاف أحمد، قد تحولوا إلى الإسلام. لكن الانتفاضات في أواخر القرن التاسع عشر، أدت إلى طرد سكان كريت من المسلمين.

وتفرق مسلمو كريت في عدة بلدان، فمنهم من اتجه إلى تركيا وليبيا ومنهم إلى لبنان وفلسطين وسوريا. أما عائلة أحمد فاستقرت في قرية الحميدية على الساحل السوري، والتي كان السلطان عبد الحميد الثاني بناها خصيصاً للاجئين. وفي سنوات لاحقة، ازداد عدد سكانهم في القرية وبلغ العدد حوالي 10 آلاف شخص، بقوا على تواصل مع جزيرة كريت من خلال متابعة قنوات التلفزيون اليونانية عبر الأقمار الصناعية، وفي بعض الأحيان، كان القرويون يسافرون للعمل في الجزيرة.

يتابع أحمد " كان هناك دائماً جزء من كريت في قلوبنا". وكان الجميع يعرف أصول كل عائلة ومن أي قرية جاؤوا، وكثيرا ما كان والداي يتحدثان عن سحر كريت وجمالها، كنا نرغب كثيرا بزيارتها، لكن لم يتسنَ لنا ذلك.ثم بدأت الحرب الأهلية في سوريا، فلم يبق أمامنا خيار آخر إلا الرحيل.

كانت أخوات أحمد الثلاث مع عوائلهن أول من غادر سوريا، لكن لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لأحمد، لأنه لم يملك من المال ما يكفي لدفعه إلى المهربين، فقد واجه صعوبات جمة حتى استطاع جمع ما يكفي من المال لتهريب زوجته ياسمين وأطفاله الأربعة الذي يبلغ عمر أصغرهم أربعة أعوام وأكبرهم 14 عاما من عمره في ربيع عام 2017.

استغرقت رحلة الوصول إلى الجزيرة ثلاثة أشهر، وكانت أخطر مراحلها هي السفر على قارب كاد أن يغرق من تركيا إلى جزيرة ليسبوس اليونانية. واجتمع أحمد مع عائلته الذين بدأوا بتقديم طلبات اللجوء في اليونان.

وفي أول مقابلة له ولعائلته، تقصّد أحمد بطبع بصمته على الاستمارة إلى جانب اسم عائلته " تارازالكيس" للفت انتباه الموظفين.

يقول أحمد: " بدأ الصراخ بين زملاء العمل، انظروا، هناك، كريتي هنا، تعالوا وشاهدوا". ويضيف، تجمع الموظفون حولي بدافع الفضول. على الرغم من معرفة العديد من اليونانيين بوجود بعض الكريتيين خارج البلاد، إلا أن ذلك لم يقلل من انبهارهم بلهجة عائلة تارازالكيس الذين تعلموها من آبائهم في سوريا، بعيداً عن الكريتيين في اليونان، والذين نسوا استخدام بعض مفرداتها أو أصبحت بالنسبة لهم من التاريخ. ولا يتقن أحمد وعائلته القراءة والكتابة باللغة اليونانية الحديثة، بل المحادثة التي مارسوها مع آبائهم فقط. لذا سيتوجب عليهم تعلم القراءة والكتابة أيضا باللغة اليونانية الحديثة.

وبعد شهر واحد من وصولهم إلى ليسبوس، منح أحمد وعائلته حق اللجوء في أغسطس/آب 2017، واتجهوا على الفور إلى مدينة خانيا حيث يعيش أبناء عمومته وأخواته وأقربائه.

عندما وصل أحمد إلى مسقط رأس أجداده في مدينة خانيا، دخل المستشفى بسبب حالة الصرع التي يعاني منها، كان الطاقم الطبي بأكمله مندهشاً من سماع لهجته القديمة، لدرجة أنهم استدعوا مراسلاً من الصحف المحلية لإجراء مقابلة معه. يقول أحمد:" عندما خرجت من المستشفى للعيش في شقة بالقرب من ميناء فينيسيا التاريخي في خانيا، كان كل من في البلدة قد عرف قصتي مسبقاً". وبدأ الناس بإيقافه في الشارع، ليسألوه عن الحرب في سوريا، كانت نظرتهم له " ككريتي عاد إلى الوطن". ثم زار قرية أجداده الأصلية، سكالاني، خارج العاصمة.

**مسقط رأس**

وشعر بالقشعريرة وهو يسير في شوارعها، محدقاً في الحانات المظللة والبيوت الحجرية القديمة، بدا وكأن شيئاً ما يسير في دمه وهو يحدق باندهاش للمرة الأولى في حياته في مسقط رأسه الذي سمع عنه الكثير من أفواه أجداده. لم يتمكن من العثور على منازلهم بالضبط، لكن سكان البلدة المحليين صحبوه إلى الحقول التي كان يعمل فيها المسلمون وقتذاك.

ويقول أحمد:" لا أريد أن يظن سكان البلدة الذين يعيشون هنا بأنني سأطالب باستعادة الأراضي". لذا فهو وعائلته حريصون على التعامل مع المسألة بحذر.

تعلّم أحمد وعائلته القراءة والكتابة باللغة اليونانية الحديثة، لن يبعدهم عن اللهجة الكريتية التي تعلموها من الآباء حسب قوله.

وعلى الرغم من ترك المسلمين مدينة خانيا منذ أكثر من قرن، إلا أن الأمور بدأت تتغير الآن، فبالإضافة إلى 25 فرداً من عائلة أحمد، يوجد هناك المئات من اللاجئين الذين قدموا من بلدان مختلفة من الشرق الأوسط خلال السنوات القليلة الماضية. ومع تحويل المسجد العثماني القديم المطل على البحر إلى معرض فني، أخذ المسلمون يستأجرون غرفاً من أجل الصلاة فيها. ويستمتع أحمد وعائلته بعيش ثقافتين مختلفتين في آن واحد. فهم يتناولون مزيجاً من الأطعمة اليونانية والسورية مثل السلطة اليونانية، وخبز البيتا، والحمص.

ويقول أحمد:" أنا ممتن للمساعدات المالية التي تقدمها لنا مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، لكن هذا ليس كافياً لتربية أربعة أطفال، لذا، أفكر مع رجال العائلة في إنشاء شركة صغيرة لمجموعة عمال البناء، كما أن نساء العائلة يفكرن بالعمل في صالونات تصفيف الشعر".

وعلى الرغم من تقدير أحمد وسعادته بخوض تجربة الحياة في وطن الأجداد، إلا أنه لن ينسى الظروف القاسية التي دفعته خارج سوريا. وقال: " عندما تضطر إلى مغادرة المكان الذي وُلدت فيه، تفقد جزءً من ذاتك، وإذا أصبحت سوريا آمنة في المستقبل، لن أتوانى عن العودة إليها مع الإبقاء على الروابط مع كريت

**نزهة:** فاتن أخت أحمد (إلى اليمين) وزوجته ياسمين وأخواتها يخرجن في نزهة قصيرة مروراً بمسجد جيالي تزاميسي بيميناء خانيا

---

عواصم

# مدينة فاس المغربية : أقدم مركز تعليمي في العالم

**لندن- كريس غريفث وتوماس باتري**

لم تتغير معالم هذه المتاهة من الممرات والدروب المتشابكة، والنوافير، والأسواق، والباحات كثيرا منذ التطور العمراني السريع الذي شهدته مدينة فاس تحت حكم الدولة المرينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ولا يكاد يخلو ركن من أركان المدينة القديمة من أطلال الرياض المغربية العريقة المتداعية، التي كانت يوما ما دورا وقصورا فخمة، لكن الحكومة المغربية رصدت أموالا مؤخرا لترميم المعالم والمباني الأثرية بالمدينة العتيقة، أو "فاس البالي"، التي تعد واحدة من المدن الأكثر حفاظا على تراثها التاريخي في العالم العربي والإسلامي.

كما تعد المدينة العتيقة واحدة من أكبر المناطق التي لا يُسمح فيها بدخول السيارات في العالم، إذ تعتمد على الحمير، والبغال، والعربات اليدوية في نقل البضائع عبر أزقتها الضيقة والمنحدرة.

وتزخر جدران المساجد والكتاتيب القرآنية والزوايا والأضرحة في أنحاء المدينة العتيقة بالنقوش والزخارف الإسلامية الدقيقة، والفسيفساء المغربية الخلابة، وهي بلاطات صغيرة تصطف بجوار بعضها البعض في تصميمات هندسية على الطراز المغربي. لكن مبنى واحدا في قلب المدينة العتيقة يُسحر عقول الزوار ويأسر قلوبهم.

تأسست جامعة القرويين في عام 859 ميلاديا، مع بداية تأسيس مدينة فاس التي اتخذها الأدارسة عاصمة لدولتهم، وصنفتها اليونسكو وموسوعة غينيس للأرقام القياسية كأقدم جامعة لا تزال تعمل دون توقف على مستوى العالم.

**مواقع تاريخية**

صحيح أن هناك مواقع تاريخية وأثرية أخرى – مثل جامعتي "تاكسيلا" و"نالاندا" الهنديتين– أقدم من جامعة القرويين، وأن المجتمعات السومرية القديمة شرعت في تأسيس مدارس الكتابة (أي–دوبا) قبل عام 3500 قبل الميلاد، لكن جامعة القرويين تستحق الرقم القياسي بجدارة لأنها لم تتوقف عن نشر العلم والمعرفة منذ تأسيسها وحتى الآن. فضلاً عن أنها أول مؤسسة تعليمية تمنح درجات علمية في العالم.

ويضم المجمع، الذي يوجد في قلب المدينة العتيقة، مسجدا وجامعة وخزانة كتب، ويتصل من جوانبه الأربعة بشبكة الأزقة والممرات المتشابكة بالمدينة العتيقة. ويطل سطح الجامعة المغطى ببلاطات خضراء على الامتداد العمراني لمدينة فاس.

إلا أن القصة وراء نشأة هذه المؤسسة العريقة قد تكون أكثر إبهارا من تصميمها. فمنذ مطلع القرن التاسع وحتى منتصفه، ازدهرت المدينة الوليدة وأصبحت تُشَدّ إليها الرحال، وهاجرت إليها فاطمة الفهرية برفقة أختها مريم من مدينة القيروان بتونس، واستقر بها المقام وتزوجت في فاس. وبعد أن قضى والدهما نحبه، قررت الأختان أن تهبا ميراثهما لخدمة المجتمع الذي انتقلا للعيش فيه بتأسيس مسجد وجامعة القرويين.

خصصت مريم نصيبها من الميراث لبناء المسجد الأندلسي في وسط المجمع. ويسع المسجد، المزدان بالنقوش والزخارف من الداخل، ما يصل إلى 20 ألف مصل، بينما كرست فاطمة مالها ووقتها وطاقتها لبناء مركز لنشر العلم والمعرفة بين أهل فاس على أن يكون مجاورا للمسجد.

ويُقال إن فاطمة من شدة إخلاصها وتفانيها، قررت أن تصوم حتى يكتمل بناء المجمع، وذكرت بعض المصادر أنها صامت لمدة 18 عاما.

ولا يُسمح لغير المسلمين بدخول الجامع، لكن أغلب السياح يلقون نظرة على صحن المسجد الفسيح ونقوشه اليدوية الدقيقة والأقواس والنوافير من خلال الأبواب الضخمة للجامع في جوانبه الأربعة.

وتطل أسطح المباني بالمدينة العتيقة على مناظر تخلب الألباب، فترى منها المسجد ومئذنته البيضاء، التي ينطلق منها صوت الأذان فتتردد أصداؤه في أرجاء المدينة.

إلا أن شكل المجمع وتصميمه المعماري لن يكون واضحا عندما تنظر إليهما من الأرض، لأن المباني تكاد تكون متلاصقة، إلى درجة أن الأسطح تلامس بعضها بعضا، بل وتتداخل مع بعضها فوق الممرات الضيقة. لكن القباب والأقواس الضخمة والجدران الخشبية قد تساعد الزوار في تحديد الشكل العام للمجمع.

ويمتلئ المسجد بالزخارف والنقوش الدقيقة، مثل سقف المسجد المزدان بالرسومات المفعمة بالتفاصيل في المدخل الرئيسي. وقد صُمم المبنى من الداخل في عهد دولة المرابطين، الذين عملوا على توسيع المسجد وباحات الصلاة في القرن الثاني عشر.

**قرون لاحقة**

وتوالت أعمال التطوير والتغيير في المسجد في القرون اللاحقة. وفي عهد دولة الموحدين، الذين بسطوا سيطرتهم على مساحات شاسعة من المغرب والمناطق الجنوبية من أسبانيا بعد قيام دولتهم على أنقاض دولة المرابطين في القرن الثاني عشر، زُين المسجد بالزخارف ذات الطراز الفني المغربي، وبدا جليا تأثير التصميمات الأندلسية في النافورة الوسطى المصنوعة من الرخام.

وأُضيفت النافورتان، اللتان تشبهان نافورة باحة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة في أسبانيا، إلى صحن المسجد في مطلع القرن السابع عشر.ومع مرور السنين، تحول جامع القرويين من مسجد ملحق به مدرسة لتعليم القرآن ومكتبة متواضعة، إلى مؤسسة تعليمية ملأت شهرتها الآفاق، تمنح درجات علمية في مختلف المجالات، وتوافد إليها الدارسون والباحثون من مختلف أصقاع العالم طلبا للعلم.وكان اهتمام المدرسة، في بادئ الأمر، منصبا على العلوم الدينية، لكنها توسعت فيما بعد إلى تدريس علوم اللغة، والنحو، والقانون، والموسيقى، والمذهب الصوفي، والطب، وعلم الفلك. وفي عام 1947، أصبحت جامعة القرويين جزءا من نظام التعليم الحكومي في الدولة.

وبموجب ظهير (أي مرسوم) ملكي مغربي صدر عام 1963، بعد انتهاء فترة الحماية الفرنسية التي كانت مفروضة على المغرب، باتت الجامعة تخضع لنفس النظام التعليمي المعمول به في الجامعات الحديثة. وفي عام 1965، سُميت رسميا جامعة القرويين.

وتلقى العلم في قاعات الجامعة ذات الجدران المزدانة بالفسيفساء الكثير من العلماء، وكان من أبرزهم الفيلسوف ابن رشد في القرن الثاني عشر، والبابا سيلفستر الثاني، الذي يُقال إنه نقل الأرقام العربية التي تعلمها في الجامعة إلى أوروبا في القرن العاشر، والفقية ابن الحاج العبدري الذي ولد في القرن الثالث عشر، وتُوفي في القرن الرابع عشر، والدبلوماسي الأندلسي الأمازيغي ليون الأفريقي.

ويقال إن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون، الذي اشتُهر بكتاباته عن المبادئ الأخلاقية والشريعة اليهودية في القرن الثاني عشر، كان على صلة بالمدرسة.واهتم المرينيون بتوسعة خزانة الكتب في عام 1359، وأضافوا مساحة شاسعة تحوي آلاف المخطوطات، منها أكثر من 20 ألف كتاب يعود تاريخها إلى مطلع القرون الوسطى، وأربعة آلاف نص ووثيقة نادرة.وتعد الآن خزانة كتب القرويين، التي تحوي بعض أقدم المخطوطات في التاريخ الإسلامي، إحدى أهم المكتبات في العالم العربي والإسلامي، لا سيما بعد أن حُرقت الكثير من المخطوطات المهمة، ودُمرت مكتبات بأكملها في بعض البلدان العربية الأخرى، مثل مكتبة جامعة الموصل بالعراق، في غمرة الحروب التي شهدتها في السنوات الأخيرة.

وتحوي خزانة القرويين نسخة من القرآن الكريم مكتوبة بالخط الكوفي تعود إلى القرن التاسع، ونسخة من السيرة النبوية تعود إلى القرن العاشر، ومجموعة نصوص على شكل أرجوزة طبية كتبها ابن طفيل في القرن الثاني عشر، وكل هذه المخطوطات مُصانة داخل خزانة الكتب.

وفي أثناء عملية الترميم المكونة من مراحل عديدة، التي أجريت ما بين عامي 2012 و2016، أقيم مختبر متطور لترميم المخطوطات التاريخية وضمان الحفاظ عليها لتستفيد منها الأجيال المقبلة.

**اربعة اقفال**

كما تحتضن خزانة القرويين مخزنا بُني في القرن السادس عشر، له باب مصفح مزود بأربعة أقفال، ويتطلب فتحه أربعة أشخاص يحمل كل منهم مفتاحا، وصُمم هذا النظام خصيصا لحماية المخطوطات التي لا تُقدر بثمن فقط. ويحمل عبد الفتاح بوكشوف، محافظ خزانة القرويين، المفتاح الوحيد للقفل الذي لا يزال يعمل.

وبعد تلقي وزراة الثقافة المغربية منحة ضخمة من المصرف العربي الكويتي في سبيل حفظ التراث الثقافي، أُعيد افتتاح جناح صغير من المدرسة للجمهور في عام 2016، وأصبح بإمكان السياح مشاهدة النقوش الدقيقة ولوحات الفسيفساء الخلابة، وكذلك غرف الدراسة وغرف الإيواء.

وفي عام 2012، كلفت الوزارة عزيزة شاوني بترميم الجامعة، واستعان العمال والمهندسون بالمواد المحلية، كلما أمكن، ونجحوا في ترميم لوحات الفسيفساء بعد جهد شاق، بالإضافة إلى إصلاح وتغيير أساسات المباني وتركيب نظام صرف صحي حديث، وتركيب بلاطات السطح الخضراء المميزة من جديد.

وعلى الرغم من أن هذه المؤسسة العلمية العريقة أسستها امرأة منذ ما يربو على ألف عام، إلا أنها لم تشهد زيادة في أعداد الطالبات إلا في السنوات الأخيرة، بسبب العادات والتقاليد المقيدة لخروج المرأة، التي امتدت لقرون طويلة.

لكن أبواب الجامعة الآن مفتوحة أمام جميع الطلاب، بغض النظر عن دينهم أو جنسهم، وإن كانت تشترط حصول الدارسين والعلماء على إذن مسبق قبل دخول الجامعة.

**مدينة:** يطل سطح الجامعة المغطى ببلاطات خضراء على الامتداد العمراني لمدينة فاس العريقة

---

اطلالة

## التعصب وراء إنهيار المجتمعات

لست متعصبا دينيا ولست معاديا لاي دين من الاديان سواء كانت سماوية ام ارضية.. كما انني لست واعظا دينيا لكن الذي رأيته من خلال لقطات على الماسينجر اثار في نفسي كل مكامن الحقد والادانة لما تقوم به مجموعة متطرفة في جمهورية اسيا الوسطى من الارهابيين التي زعم انها (مسيحية) تقوم برصف مجموعة من الناس زعم ايضا انهم مسلمون.. يقوم اثنان من العبيد السود العمالقة طولهما بين 195 سم ومترين فيما تبدى لي يقوم احد هذين العبدين لا لونهما انهما عبدان ولكن لكونهما اسرى لمعتقدات قتل الاخرين بدون ذنب.. اقول يقوم احد بالاشارة الى واحد من افراد المجموعة المساكين ثم يقول له.. صر مسيحيا.. وعندما يرفض يقبض عليه العبد العملاق الاخر ويطرحه ارضا.. فيقوم زميله المشؤوم وبيده سكين بطول ربع متر بذبح الضحية المسكين ذبح النعاج ثم يركلانه كلاهما باحذيتهما الثقيلة ويرميانه في حفرة مستطيلة يكدسان فيها جثث المغدورين..

ان الشريط الذي شاهده مئات الالوف من كل الاديان والاجناس ويقينا انه اثار مكامن من الشعور الانساني العميق والصحيح لديهم لادانة كل اشكال الارهاب سواء من مارقي القاعدة وطالبان ام من فجرة داعش او من هؤلاء الغلاة الجبناء في افريقيا الوسطى الذين يسوقون ضحاياهم لا لشيء سوى انهم مغايرون لهم في الاعتقاد الديني..

هذا ان كان لهؤلاء الجناة اية عقيدة ويقينا ان المسيحية وهي دين المحبة والتسامح وسيدنا المسيح (ع) وهو نبي السلام بل وكل ابناء ادم الشرفاء يدينون الافعال القبيحة لمصاصي الدماء هؤلاء الذين يزعمون انهم يفعلون ذلك من اجل المسيحية والمسيحية الحقة.. هي من اديان الله المرموقة المبجلة التي تدين كل شكل من اشكال الارهاب حتى لو صدر من اناس يزعمون انهم من اتباعه..

على اية حال ان الشريط الذي لست متأكدا من صحته اثار ادانة واسعة من كل الجهات الانسانية ان جمهورية افريقيا الوسطى التي سبق وباع رئيسها جون بول بوكاسا نفسه ودينه الى المرحوم العقيد معمر القذافي رئيس ليبيا الاسبق..

لقاء دريهمات وغير دينه الى الاسلام وسمى نفسه (صلاح الدين احمد بوكاسا) والذي اشتهر عنه بانه كان يقتل الساسة المعارضين له.. ويجعل من لحومهم اطباقا شهية لمعدته المريضة مثل نفسيته يقوم بعض اتباعه السيئون بالتنكيل والاعتداء على مخالفيهم في الدين..

لك الله ايها الشعوب المصابة بوجود التعصب في نفوس بعض ابنائها السيئين المصابين بداء التعصب الوبيل الذي هو بالتأكيد من مظاهر انهيار المجتمعات.

**حسين الجاف**

بغداد

---

## من ذكريات الفرهود واليهود

في كتاب صدر لي قبل اعوام عنوانه ( عراق رومي شنايدر ) عن دارنشر في بغداد ، أفردت فيه فصلا مهما عن الفنان العراقي ـ اليهودي الديانة ( صالح الكويتي ) تحدثتُ فيه عن خواطر حزن سدارة الرجل الذي ادخل الحداثة للموسيقى العراقية المعاصرة من أجمل وأوسع ابوابها عبر الشجن الاسطوري للمطربة سليمة مراد صاحبة الاغنية الساحرة ( قلبكْ صخر جلمود ما حَنْ عليه ).

وتلك الاغنية التي سكنت أفئدة العراقيين في مقاهي الذكريات واراجيل الذكريات وخنادق الحرب وأسفهم على واحد انتبوه وظهر لهم أنه مرتش ولص .

وتلك الأغنية هي من ظلت باقية في وجدان الرجل وجسده وكانت هي من بعض مناجاة الشوق للبلد الذي هُجرَ منه قسرا بعدما أن اعتقد الباشا نوري السعيد ان صالح وشقيقه داود اكملا مهمتما الفنية وعليهما صعود الباخرة من العقبة الى حيفا .

كان من بين اهم ما حمل معه صالح الكويتي هو العود الذي صنع من خلال اوتاره اعذب اغنيات الحناجر اليهودية والمسيحية والمسلمة واغلبهن من النساء ، هذا العود هو والسدارة وثلاث بدلات رجالية وعدة الحلاقة ومسبحة وحاجيات خاصة ومن بعضها دفاتر لنوتات تلك الاغاني الخالدة هو كل ما نجا من الفرهود الذي عم البيئة الاجتماعية الساذجة التي ربما فرحت بقرار تهجير اليهود العراقيين الى فلسطين .

وهو ذاته الفرهود عاش في متشابهات اخرى عندما نهب ميناء المحمرة في بداية ثمانيات القرن الماضي وفي التسيعينات نهبت الكويت التي ينتمي اليها صالح الكوتي بأسم الولادة واللقب الفني .

عاش صالح الكويتي خارج الحدود يحمل الكثير من اسئلة الاسى لما حدث في هذا الفرهود ـ وبالرغم من انه شعر بوجود اغنية تبث من الاذاعة والحفلات أنه لم يسلب منه شيئا إلا أنه شعر بأمتعاض هائل عندما اخبره قادمون من العراق عبر لندن بأن اوامر رئاسية صدرت بأخفاء واتلاف الارشيف والوثائق الموسيقية والادارية التي تهم جميع انشطة الاخوين (الكويتي) قي الاذاعة والتلفزيون العراقية .

وقتها شعر صالح الكويتي ان الفرهود شمله الآن ، فعاش في ازمة نفسية اخرى لم تمكنه من انتاج لحنا جديدا وكل ما كان يقدمه في الاماسي والمناسبات الكثيرة التي يحتفي فيها يهود حيفا من العراقيين أنه يعيد وبحنجرة دامعة انشاد اغنيته (الهجر مو عادة غريبة) وكأنه يريد أن يذكر التأريخ العراقي منذ السبي البابلي والى سنوات تهجير اليهود بأنه كان يعيش فورة الاسى التي يصنعها الولاة والمستعمرون مع الاقليات وهذا ما تكرر في العصر المغولي والتركي والعصور الاخرى ليس مع اليهود فقط بل مع الصابئة والارمن والتركمان والمسيح والافيلية والايزيدين وغيرهم.

لكن الفرق مع اليهود أنهم نالوا القسوة بطريقة التهجير ومصادرة الممتلكات او جعلها وقفا لواحدة من اجمل امكنة البناء المعماري العراقي الذي زخرت به محلات التوراة في المدن العراقية وهي بيوت الشناشيل الخشبية.

صورة صالح الكويتي (1910 ـ 1986) لاتنطبق في جمالية مشاعرها من خواطر الفرهود المتكرر في الحياة العراقية ، والذي نراه ملتصقا بوجه لصوص الساسة ومقاولي الغفلة ، وحتما في بلد متنوع كالعراق تتنوع اشكال التعامل مع الوجه النقي والطيب والبريء للذات العراق التي قد تستغفل ويتم سلب مواردها ونطها وموازنتها .

فعليه سنشعر بالفخر أن البعض بالرغم من انهم فرهدوا منه كل شيء أبتداءً من الجنسية وطابو البيت والجربابة والكنتور التسكام الى الاوراق الثبوتية الاخرى ، إلا أنه بقيَّ يعيش بهاجس الانتماء الى الليل البابلي الساحر وانه استطاع أن يبقيَّ قلبه نابضا قرب ظلال بساتين ميزوبوتاميا بفضل انه ابقى آلة العود سالماً حين عبر الحدود بعيدا عن فوضى الفرهود .

**نعيم عبد مهلهل**

المانيا